شرح الأربعين النووية

الحديث الثاني

مراتب الدِّين وأشراط الساعة

الجزء الأول

اللقاء الثالث

نتحدث عن راوي حديث جبريل عليه السلام الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول محمد -ﷺ-، وأحد أشهر القادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيرًا ونفوذًا، هو أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه، وأثنى النبي -ﷺ-عليه قائلاً: " إنَّ اللهَ جعل الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه ". صحيح الجامع

وفي الحديث الذي رواه الشيخان من حديث أبي هريرة أن النبي -ﷺ-قال: " لَقَدْ كانَ فِيما قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، _ أي ملهمون _ فإنْ يَكُ في أُمَّتي أحَدٌ، فإنَّه عُمَرُ "

يَصْطَفي اللهُ سُبحانَه وتعالَى مِن خَلقِه مَن يَشاءُ؛ ليَقذِفَ في قَلبِه مِن أنْوارِ النُّبوَّةِ والهُدى، ويَفيضَ عليه مِن العَملِ والإلْهامِ ما يَشاءُ سُبحانَه، وكان عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه مِن هؤلاء المُحَدَّثينَ، يَعني: منَ المُلهَمينَ الَّذين يَجْري الصَّوابُ على ألسِنَتِهم، أو يَخطُرُ ببالِهمُ الشَّيءُ فيَكونُ بفَضلٍ مِن اللهِ تعالَى وتَوْفيقٍ، وقدْ وافَقَ عُمَرُ رَضيَ اللهُ عنه الوَحيَ في حَوادثَ كَثيرةٍ.

الدرر السنية

وورد عنه -رضي الله عنه- قولهُ: "وَافَقْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْحِجَابِ، وَفِي أَسَارَى بَدْرٍ، وَفِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-".

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ -ﷺ- قالَ: بيْنَا أنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي في الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إلى جَانِبِ قَصْرٍ، قُلتُ: لِمَن هذا القَصْرُ؟ قالوا: لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا قالَ أبو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ثُمَّ قالَ: أعَلَيْكَ بأَبِي أنْتَ وأُمِّي يا رَسولَ اللَّهِ، أغَارُ؟ صحيح البخاري

وكان عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه يقضي النهار في تفقد ومصالح رعيته وفي الليل يخرج ليتفقد أيضا أحوال رعيته مع تعبده وصلاته لله عز وجل.

ومن اقوال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:" لو تعثرت بغلة في العراق لسألني الله تعالى عنها: لِمَ لم تمهد لها الطريق يا عمر".

الحديث الثاني: مراتب الدِّين الإسلامي وأشراط الساعة

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَيضاً قَال: " بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوْسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَاب شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النبي -ﷺ- فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ الله، وَتُقِيْمَ الصَّلاَة، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البيْتَ إِنِ اِسْتَطَعتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلاَئِكَتِه، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِر، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسئُوْلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنْ أَمَارَاتِها، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرى الْحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُوْنَ فِي البُنْيَانِ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوله أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ". رواه مسلم

يشتهر هذا الحديث بمسميات منها: مراتب الدين، أو حديث جبريل، أم السنة.

أهمية الحديث: قال أهل العلم هناك حديث في دواوين الإسلام يسمى بأم السنة، ينبغي على الناس جميعاً أن يتعلموه، وأن يعرفوا ما فيه من الأحكام المنطوية عليه؛ لأنه حديث عظيم.

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة وأعمال الجوارح، والباطنة من عقود الإيمان وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه.

فيه توحيد المعرفة والاثبات(اعتقادات)أركان الايمان، وتوحيد القصد والطلب(عمليات)أركان الإسلام، والإحسان يشمل التوحيد العلمي والعملي.

قال القرطبي – رحمه الله –: فيصلح في هذا الحديث أن يقال فيه: إنه أم السنة؛ لما تضمنه من جمل علم السنة، كما سميت الفاتحة: أم القرآن؛ لما تضمنته من جمل معاني القرآن.

قال ابن رجب: هو حديث عظيم الشأن جدًّا، يشتمل على شرح الدين كله؛ ولهذا قال النبي –ﷺ–: ((هذا جبريل أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ))، بعد أن شرح درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان، فجعل ذلك كله دينًا.

جبريل عليه السلام من الملائكة المقربين، وخصه الله بالذكر في القران وسماه الله بالروح في سورة القدر:(تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ)، ورد ذكر اسمه في القرآن الكريم ثلاث مرات.

يقول كتاب "هذا تأويل رؤياى" تأليف الشيخ حسين بن محمد الصادق "أما جبريل عليه السلام فكان موكل بالوحى، وأن أهل السماوات يسألونه: ماذا قال ربنا؟ وهذا دليل على فضله ومكانته عند الله سبحانه وتعالى، فهو سيد الملائكة، وهذا قول الجمهور، ومعنى جبريل: عبد الله".

ويتميز جبريل عليه السلام بحسن الهيئة، وكان الرسول–ﷺ–، يأنس به ويفرح، ويشتاق إليه إذا غاب، وكذلك الصحابة والمسلمون من أهل المدينة المنورة، فقد كان يأتي أكثر ما يأتي إلى المسجد النبوي على صورة الصحابي دحية الكلبى، رضى الله عنه، وكان يأتي أحيانا على صورة أعرابي من البادية نظيف الثياب ليس عليه آثار السفر.

رأى النبي –ﷺ– رأى جبريل، عليه السلام، على صورته التي خلقه الله عليها مرتين اثنتين فقط:

❁الرؤية الأولى: كانت في الأرض في بداية الوحي، ونزلت عليه بعدها سورة المدثر.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ –ﷺ–وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ – أي انقطاع – الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ : (فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا فَرَجَعْتُ ، فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي ، زَمِّلُونِي ، فَدَثَّرُونِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ – إلى – وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) رواه البخاري ومسلم ، وهذه الرؤية هي التي قال الله سبحانه وتعالى فيها: (وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ) [التكوير:23]

❁والرؤية الثانية: كانت في السماء، ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى.

وقد نصت الآية في سورة النجم على الرؤية الثانية، وأشارت إلى الرؤية الأولى، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) [النجم:13–14]، قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: رأى جبريل له ستمائة جناح.

✉قوله: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوْسٌ " "بَيْنَمَا " هي " بينا" ولكن زيدت (مَا) فيها والأصل: بين نحن، (مَا) زيدت للتوكيد.

✉" جُلُوْسٌ " مبتدأ، وخبره: " عِنْدَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-"

✉" ذَاتَ يَوْمٍ " ذات هنا تفيد النكرة، أي في يوم من الأيام.

✉إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ: الرجل هنا مبهم، وهو رجل في شكله لكن حقيقته أنه مَلَك.

✉" شَدِيْدُ بَيَاضِ الثّياب " أي عليه ثياب.

✉" شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ " أي أنه شاب.

✉" لاَ يُرَى عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ " لأن ثيابه بيضاء وشعره أسود ليس فيه غبار ولا شعث السفر، ولأن المسافر في ذلك الوقت يُرى عليه أثر السفر.

✉" وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنا أَحَدٌ " أي وليس من أهل المدينة المعروفين، فهو غريب.

✉" حَتى جَلَسَ إِلَى النبِي -ﷺ-" ولم يقل عنده ليفيد الغاية، أي أن جلوسه كان ملاصقاً للنبي -ﷺ-.

✉ولهذا قال: " فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ " أي كفي هذا الرجل " عَلَى فَخِذَيْهِ " أي فخذي هذا الرجل، وليس على فخذي النبي-ﷺ-، وهذا من شدة الاحترام.

✉" وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ " ولم يقل: يا رسول الله ليوهم أنه أعرابي، لأن الأعراب ينادون النبي-ﷺ- باسمه العلم، وأما أهل الحضر فينادونه بوصف النبوة أو الرسالة عليه الصلاة والسلام.

✉" أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ " أي ما هو الإسلام؟ أخبرني عنه.

🗐قال الإمام الخطابي: الإسلام والإيمان لفظان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

✉" الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله " تشهد أي تقر وتعترف بلسانك وقلبك، فلا يكفي اللسان، بل لا بد من اللسان والقلب قال الله عز وجل: (إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [الزخرف: 86].

✉" وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله " أي وتشهد أن محمداً رسول الله، ولم يقل: أني رسول الله مع أن السياق يقتضيه لأنه يخاطبه، لكن إظهاره باسمه العلم أوكد وأشد تعظيماً.

✉وقوله:" مُحَمَّداً " هو محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي من ذرية إسماعيل، وليس من ذرية إسماعيل رسول سواه.

✉" رَسُولُ الله " رسول بمعنى مرسل، والرسول: هو من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه والعمل به.

✉" وَتُقِيْمَ الصَّلاَة " أي تأتي بها قائمة تامة معتدلة.

⇦وكلمة: " الصَّلاَة " تشمل الفريضة والنافلة.

✉" وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ " تؤتي بمعنى تعطي، والزكاة: هي المال الواجب بذله لمستحقه من الأموال الزكوية تعبداً لله، وهي الذهب والفضة والماشية والخارج من الأرض وعروض التجارة.

✉" وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ " أي تمسك عن المفطرات تعبداً لله تعالى من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

⇦وأصل الصيام في اللغة: الإمساك.

✉" وَتَحُجَّ البَيْتَ " أي تقصد البيت لأداء النسك في وقت مخصوص تعبداً لله تعالى.

" إِنِ اِسْتَطَعتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً ".

✉" قَالَ: صَدَقْتَ" القائل صدقت: جبريل عليه السلام وهو السائل، فكيف يقول: صدقت وهو السائل؟ لأن الذي يقول: صدقت للمتكلم يعني أن عنده علماً سابقاً علم بأن هذا الرجل أصابه، وهو محل عجب، ولهذا تعجب الصحابة كيف يسأله ويصدقه، لكن سيأتي إن شاء الله بيان هذا.

📂 شرح هذه الأركان الخمسة:

❶ الركن الأول: شهادة أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله.

📝هنا مسألة: لماذا جُعِلَ هذان الركنان ركناً واحداً، ولم يجعل ركنين؟ الجواب: أن الشهادة بهذين تبنى عليها صحة الأعمال كلها، لأن شهادة ألا إله إلا الله تستلزم الإخلاص، وشهادة أن محمداً رسول الله تستلزم الإتباع، وكل عمل يتقرب به إلى الله لا يقبل إلا بهذين الشرطين:

❁الإخلاص لله، ❁والمتابعة لرسول الله –ﷺ–.

📝ومعنى أن تشهد أن لا إله إلا الله، أي: أن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود حق إلا الله –ﷻ–.

⇦و" أَشْهَدُ" بمعنى أقر بقلبي ناطقاً بلساني؛ لأن الشهادة نطق وإخبار عما في القلب.

📝والشهادة باللسان لا تكفي بدليل أن المنافقين يشهدون لله تعالى بالوحدانية، ولكنهم يشهدون بألسنتهم، فيقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فلا ينفعهم، وهم يأتون إلى رسول الله –ﷺ– ويؤكدون على ذلك، (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)، وقال عنهم: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)[النساء: 145] ، بل لقد صلوا مع النبي، صلوا معه، حضروا معه الجمعة والجماعات بل حضروا معه المعارك والغزوات بل اقتسموا معه الغنائم بل تزوجوا المؤمنات المحصنات وبالرغم من ذلك في الدرك الأسفل من النار يوم القيامة لأنهم إن كانوا قد خدعوا الناس في الدنيا فإنهم لن يستطيعوا أن يخادعوا الله عز وجل، (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) [النساء: 142]، (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ) [الحديد: 13].

أما من يردد باللسان لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو بعيد كل البعد عن مقتضيات هذه الشهادة العظيمة فلا بد أن يراجع نفسه، والله ما دمر الأمة تدميرا إلا الفكر الإرجائي الذي نخر في جسدها نخرا وأوهم كثيرا من المسلمين أن مجرد التلفظ بالشهادتين يكفي لتأخذ صكا من صكوك الغفران بدخول الجنة والنجاة من النيران، وكم من المسلمين الآن يصلي وهو يطلب الربا وكم من المسلمين الآن من يصلي وزوجات متبرجات عاريات وبنات متبرجات ثم يخرج ويقول ما علاقة هذا بذاك؟ ما علاقة التبرج بالصلاة؟ وما دخل الصلاة بالشهادتين؟ وما علاقة الشهادتين بالبنوك الربوية؟ أو أكل الحرام والربا؟ والدين كل لا يتجزأ، لا ينقسم ديننا أبدا إلى قشور ولباب، الدين وِحْدة واحدة، "الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان".

إن أسلمت واستسلمت لله فلا بد أن تعلم يقينا أن كل حركاتك وسكناتك لا بد أن تكون منبثقة من منهج الله من منهج قال الله، قال رسوله -ﷺ-، هذا حق شهادة (أن لا إله إلا الله محمد رسول الله).

نريد أن نحول هذه الشهادة إلى واقع عملي، إلى منهج حياة، نريد أن نترك هذا الانفصام ،انفصام في حياة الأمة، ملايين من أبناء هذه الأمة تردد في الصباح والنهار والليل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، لكن انظر إلى المنهج العملي بعد ذلك تراه بعيدا كل البعد عن هاتين الشهادتين العظيمتين.

و" لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ " أي لا معبود بحق إلا الله وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة " حق " يتبين الجواب عن الأشكال التالي: وهو كيف يُقال:" لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ " مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله، وقد سماها الله آلهة وسماها عابدوها آلهة، قال الله تعالى: (فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ مِن شَيْءٍ) فبتقدير الخبر في " لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ " نقول: هذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة لكنها باطلة، وليست آلهة حقّة، وليس لها حق الألوهية من شيء.

" إِلاَّ اللهُ " الله: علم على الرب لا يسمى به غيره، وهو أصل الأسماء، ولهذا تأتي الأسماء تابعة له، ولا يأتي تابعاً للأسماء إلا في آية واحدة، وهي قول الله تعالى: (إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)، لكن لفظ الاسم الكريم هنا بدل من العزيز، وليست صفة، لأن جميع الأسماء إنما تكون تابعة لهذا الاسم العظيم.

(اللهِ): أي: المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة، الذي تعبده الخلائق، وتتأله له محبة وتعظيماً وخضوعاً له، وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، لما له من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال.

(الله): فهذا الاسم هو اللفظ الجليل الجامع لكل صفات الكمال التي لا بد أن يتصف بها الخالق العظيم، ومعناه المألوه أي المعبود أو المستحق للعبادة لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، التي يدل عليها الأسماء الحسنى جميعها، .....فإذا تقرر عند العبد المخلوق أنَّ الله وحده هو المألوه، أوجب له أن يعلق بربه حبه وخوفه ورجاءه، وأناب إليه في كل أموره، وقطع الالتفات إلى غيره من المخلوقين ممن ليس له من نفسه كمال ولا له فعال. اهـ. من تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي باختصار وتصرف.

إن من روائع ودقائق اسم الجلالة –الله– أنه هو الذي لا يسكن العبد إلا إليه، فلا تسكن القلوب إلا بذكره، ولا تفرح العقول إلا بمعرفته؛ لأنه –سبحانه– الكامل على الإطلاق دون غيره، وهو الذي لا يفزع العبد ولا يلجأ إلا إليه؛ لأنه لا مجير حقيقة إلا هو، ولا ناصر حقيقة إلا هو، وهو الذي يلجأ إليه العبد بكل ذرة في كيانه، التجاء شوق ومحبة، فهو سبحانه الكامل في ذاته وصفاته، فلا يأنس إلا به، ولا يفتر عن خدمته، ولا يسأم من ذكره أبدًا.

تكاد القلوب المؤمنة أن تتفتت من فرط محبتها له، وتعلقها به، وهو الذي يخضع له العبد ويذل، وينقاد تمام الخضوع والذل والانقياد، فيقدم رضاه على رضا نفسه، في كل حال، ويبعد وينأى عن سخطه بكل طريق، هذا مع تمام الرضا والمحبة له –سبحانه–، فهو يذل وينقاد له – سبحانه– مع تمام الرضا بذلك، والمحبة له –جل وعلا – حيث إنه الإله الحق، الكامل في ذاته وصفاته، المستحق لذلك كله.

الإله هو المألوه وحده، المحبوب المطاع، المستحق أن يُفرد بالعبادة وحده، تفرد بالصفات التي يستحق أن يُؤلهَ ويُعبد ويُحَبّ لأجلها، فيؤله ويُحَبّ لأنَّ له أوصافَ العظمة والكبرياء، ويؤله لأنَّه المتفرِّد بالقيُّومية، والربوبية، والمُلك والسلطان، ويؤله لأنَّه المتفرد بالرحمة، وإيصال النِعم الظاهرة والباطنة إلى جميع خلقه، ويؤله ويُحَبّ لأنَّه المحيط بكلِّ شيء علمًا، وحُكْمًا، وحكمةً، وإحسانًا ورحمة، وقدرة وعزة، وقهرًا، ويؤله لأنَّه المتفرّد بالغنى المطلق التام من جميع الوجوه.

مسألة: هل هذه الشهادة تُدِخل الإنسان في الإسلام؟ الجواب: نعم تدخله في الإسلام، حتى لو ظننا أنه قالها تعوّذاً، فإننا نعصم دمه وماله؛ ولو ظننا أنه قالها كاذباً.

إذاً نحن ليس لنا إلا الظاهر، حتى لو غلب على ظننا أنه قالها تعوذاً فإنها تعصمه، نعم لو ارتد بعد ذلك قتلناه، وهذا يوجود من جنود الكفر إذا أسرهم المسلمون قالوا: أسلمنا من أجل أن يعصموا أنفسهم من القتل، فيسأل المجاهدون ويقولون: هل نقتل هؤلاء بعد أن قالوا: لا إله إلا الله أم لا؟ نقول: حديث أسامة يدلّ على أنهم لا يقتلون، ولكن يراقبون، فإذا ظهر منهم ردة قتلوا، لأنهم بشهادة أن لا إله إلا الله تَلزمهم أحكام الإسلام.

وقوله: " وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ الله "، وقوله: مُحَمَّداً هو محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي من ذرية إسماعيل، وليس من ذرية إسماعيل رسول سواه، وهو المعنى بقول الله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل:(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ) [البقرة: 129]، هَذِهِ دَعْوَة إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل لِنَبِيِّنَا مُحَمَّد -ﷺ- خَاصَّة، وَهِيَ الدَّعْوَة الَّتِي كَانَ نَبِيّنَا -ﷺ- يَقُول: " أَنَا دَعْوَة أَبِي إِبْرَاهِيم وَبُشْرَى عِيسَى".

محمدٌ بنُ عبدِ اللهِ -ﷺ-: أعزُّ الناسِ نسبًا، وأشرفهمْ مكانةً، أظهرَ اللهُ على يديهِ منَ المعجزاتِ ما أبهرَ العقولَ، ففلقَ لهُ القمرَ فلقتينِ، وتكلمتِ الحيواناتُ بحضرتهِ، وسبحَ الطعامُ وتكاثرَ بينَ يديهِ، وسلمَ عليهِ الحجرُ والشجرُ، وأخبرَ بالمغيباتِ، فما زالتْ تتحققُ في حياتهِ وبعدَ وفاتهِ.

ومن مثل محمد -ﷺ-، لا حق لمخلوق أعظم من حق رسول الله -ﷺ- علينا، فهو قدوتنا وشفيعنا يوم القيامة وقائدنا إلى الجنة، وهو الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور وهدانا إلى صراط مستقيم.

نشهد أن محمداً -ﷺ- بلغَ الرسالةَ أحسنَ بلاغٍ، وأدى الأمانةَ أحسنَ أداءٍ، ونصحَ الأمةَ، وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادهِ.

ومن مقتضى الشهادة أن لا نقدم حب أنفسنا ولا أولادنا ولا أزواجنا على حبه صلوات الله عليه والناس اجمعين، وإذا كانت محبة رسول الله -ﷺ- متوجبة على كل مسلم ومفروضة عليه، فإنها لدى صحابة الرسول -ﷺ- أشد وأقوى؛ فلقد أحب الصحابة رضوان الله عليهم الرسول -ﷺ- حُباً فاق كل حب فآثروه على المال والولد وآية ذلك إتباعهم لتعاليمه -ﷺ- وابتعادهم عن نواهيه، روي عن عمر بن الخطاب قال : كُنَّا مع النبيّ -ﷺ- وهو آخِذٌ بيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَقالَ له عُمَرُ: "يا رَسولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شيءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النبيُّ -ﷺ-: لَا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النبيُّ -ﷺ-: الآنَ يا عُمَرُ". رواه بخاري

انظروا شدة المحبة يقول عَمْرَو بنَ العاصِ، "وما كانَ أحَدٌ أحَبَّ إلَيَّ مِن رَسولِ اللهِ -ﷺ-، ولا أجَلَّ في عَيْنِي منه، وما كُنْتُ أُطِيقُ أنْ أمْلأَ عَيْنَيَّ منه إجْلالًا له، ولو سُئِلْتُ أنْ أصِفَهُ ما أطَقْتُ؛ لأنِّي لَمْ أكُنْ أمْلأُ عَيْنَيَّ منه". رواه البخاري

وعن أنس رضي الله عنه قال: "دَخَلَ عَلَيْنَا النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي(خالة رسول الله من الرضاع او النسب) بقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ العَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: يا أُمَّ سُلَيْمٍ ما هذا الذي تَصْنَعِينَ؟ قالَتْ: هذا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ في طِيبِنَا، وَهو مِن أَطْيَبِ الطِّيبِ". رواه مسلم

يقول ابن القيم –رحمه الله– في إعلام الموقعين: "كان السلف إذا عرفوا أن الرسول نهى عن أمر، لا يقولون: هل هذا نهي تحريم أو نهي كراهة".

حملهم الحب الشديد على الطاعة والتسليم، وشدة الاقتداء واقتفاء الأثر، وفي الحديث الذي رواه أبو داود وغيره عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، (أن النبي –ﷺ– قال: لو تركنا هذا الباب للنساء. قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات).

وما حصل اليوم من انكار السنة والجحود بها والاستكبار عليها دليل عدم تحقيق شهادة أن محمد رسول الله وهو –ﷺ– الذي لم يترك خيرا الا دلنا عليه ، ولا شرا الا نهانا عنه ، وهو الذي بكى خوفا على امته ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ –ﷺ– تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي) الْآيَةَ وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام : (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : "اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي. وَبَكَى. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ – وَرَبُّكَ أَعْلَمُ – فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ. فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ". رواه مسلم

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله –ﷺ– قال:" لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ يَدْعُو بها، وأُرِيدُ أنْ أخْتَبِئَ دَعْوَتي شَفاعَةً لِأُمَّتي في الآخِرَةِ". متفق عليه.

يجلس الهلال والثاني والثالث لا يوقد نار ويخبئ دعوته –ﷺ– لامته شفاعة ورحمة ورأفة.

لا يَكتملُ إيمانُ العَبدِ حتَّى يكونَ النَّبيُّ –ﷺ– أحبَّ إليه مِن ولدِه ومالِه ونفسِه.

وقول: أَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُوْلُ الله: أي أن تشهد أنه رسول الله مرسلِ إلى الخلق، والرسول هو من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، وكان الناس قبل نوح على ملة واحدة لم يحتاجوا إلى رسول، ثم كثروا واختلفوا، فكانت حاجتهم إلى الرسل، فأرسل الله تعالى الرسل.

قال قتادة: ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح – عليهما السلام – عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله عز وجل نوحاً، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.

أول الرسل نوحاً عليه السلام، وآخرهم محمد –ﷺ–.

✉والفرق الجوهريّ بين الرّسول والنبيّ هو أنَّ الرّسول من أُوحِيَ إليه بشرعٍ جديد – كاليهوديّة والنصرانيّة والإسلام–، أمَّا النبيّ فلم يُوحَى له بشرعٍ جديدٍ، وإنَّما بُعث لتقرير شرع من قبله من الرّسل، وهذا يفيد أنَّ الرّسول أعمَّ من النبيّ؛ إذ إنَّ كلَّ رسولٍ نبيّ، وليس كلُّ نبيّ رسول.

✉يجب علينا أن نؤمن بأن محمداً رسول الله–ﷺ–، وأن نؤمن بأنه خاتم النبيين.

شهادة أن محمداً رسول الله تستلزم أموراً منها:

الأول: تصديقه –ﷺ– فيما أخبر، بحيث لا يكون عند الإنسان تردد فيما أخبر به –ﷺ–، بل يكون في قلبه أشد مما نطق، كما قال تعالى في القرآن: (إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) نعلم أنه الحق، لكن بيننا وبينه مفاوز وهو السند، لأن النبي –ﷺ– ليس أمامنا لكن إذا ثبت الحديث عن الرسول –ﷺ– وجب علينا تصديقه، سواء علمنا وجهه أم لم نعلمه.

الثاني: امتثال أمره –ﷺ– ولا نتردد فيه لقول الله تعالى :(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) ولهذا أقول: من الخطأ أنَّ بعضهم إذا جاءه الأمر من الله ورسوله بدأ يتسأل فيقول: هل للوجوب أو للاستحباب؟ كما يقوله كثير من الناس اليوم، والصحابة رضي الله عنهم كان إذا أمرهم النبي –ﷺ– كانوا يمتثلون ويصدقون بدون أن يسألوا.

✉"لمَّا استوى رسولُ اللَّهِ –ﷺ– يومَ الجمعةِ قالَ: اجلسوا. فسمعَ ذلِكَ ابنُ مسعودٍ فجلسَ على بابِ المسجدِ فرآهُ رسولُ اللَّهِ –ﷺ– فقالَ: تعالَ يا عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ". صححه الالباني، انظروا الى سُرعةُ مُبادرتِهم إلى امتِثالِ أمْرِ النبي –ﷺ–.

الثالث: أن يتجنب ما نهى رسول الله –ﷺ– عنه بدون تردد، لا يَقُلْ: هذا ليس في القرآن فيهلك، لأننا نقول: ما جاء في السنة فقد أمر القرآن بإتباعه.

ولقد حذّر النبي –ﷺ– من هذا وأمثاله الذي يقول هذا ليس في القرآن، قال–ﷺ–:" ألَا هلْ عسى رجلٌ يبلغُه الحديثَ عنِّي وهوَ متكئٌ على أريكتِهِ، فيقولُ: بيننا وبينكم كتابُ اللهِ، فما وجدنَا فيهِ حلالًا استحللنَاهُ، وما وجدنا فيهِ حرامًا حرمناهُ، وإنْ ما حرَّمَ رسولُ اللهِ –ﷺ– كمَّا حرَّمَ اللهُ". صحيح الترمذي

عَنْ عبدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه ، قالَ:" لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ والمُستوشِماتِ ، والمُتَنَمِّصَاتِ والمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ (برد بين الاسنان)، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ فَبَلَغَ ذلكَ امْرَأَةً مِن بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقالَتْ: إنَّه بَلَغَنِي عَنْكَ أنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وكَيْتَ، فَقالَ: وما لا لي ألْعَنُ مَن لَعَنَ رَسولُ اللَّهِ –ﷺ–، ومَن هو في كِتَابِ اللَّهِ، فَقالَتْ: لقَدْ قَرَأْتُ ما بيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَما وجَدْتُ فيه ما تَقُولُ، قالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لقَدْ وجَدْتِيهِ، أما قَرَأْتِ: "وما آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهَاكُمْ عنْه فَانْتَهُوا". صحيح بخاري

✉كل ما جاء عن رسول الله –ﷺ– فقد جاء في القرآن، لأن الله تعالى قال: (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [الأعراف: 158]

✉ من أعظم أسباب الهداية طاعة رسول الله -ﷺ- ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور : 54]

الرابع: أن لا يقدم قول أحدٍ من البشر على قول النبي -ﷺ-، وعلى هذا لا يجوز أن تقدم قول فلان -الإمام من أئمة المسلمين - على قول الرسول -ﷺ- لأنك أنت والإمام يلزمكما إتباع الرسول -ﷺ-.

✉ذُكِر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال:" يُوْشكُ أَن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر".

الخامس: أن لا يبتدع في دين الله ما لم يأت الرسول -ﷺ-، سواء عقيدة، أو قولاً، أو فعلاً، وعلى هذا فجميع المبتدعين لم يحققوا شهادة أن محمداً رسول الله، لأنهم زادوا في شرعه ما ليس منه، ولم يتأدبوا مع الرسول -ﷺ-.

✉بل يتهموا رسول الله -ﷺ- بالتقصير في إبلاغ الدعوة، والخطر العظيم للمبتدع في إغلاق باب التوبة في وجهه حتى يترك بدعته، فعن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: " إنَّ اللَّهَ حجبَ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ حتَّى يدعَ بدعتَه ". صححه الالباني

السادس: أن لا يبتدع في حقه ما ليس منه، وعلى هذا فالذين يبتدعون الاحتفال بالمولد النبوي ناقصون في تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله، لأن تحقيقها يستلزم أن لا تزيد في شريعته ما ليس منها.

السابع: أن تعتقد بأن النبي -ﷺ- ليس له شيء من الربوبية، أي أنه لا يُدعى، ولا يُستغاث به إلا في حياته فيما يقدر عليه، فهو عبد الله ورسوله -ﷺ-(قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) [الأعراف:188]

✉إذا كان كذلك فمن الضلال البيّن أن يستغيث أحدٌ برسول الله -ﷺ-، بل هذا من الشرك، فلو جاء إنسان مهموم مغموم إلى قبر النبي -ﷺ- وقال: يا رسول الله أغثني فإني مهموم مغموم، فيكون هذا مشركاً شركاً أكبر، لأنه دعا رسول الله -ﷺ-، ودعوة الميت أن يغيثك أو يعينك شرك، لأنه غير قادر، فهو جسد وإن كانت الروح قد تتصل بالجسد في القبر لكن هو جسد، وهذا لا ينافي أن يكون حياً في قبره حياة برزخية لا تشبه حياة الدنيا.

الثامن: احترام أقواله، بمعنى أن يحترم أقوال النبي -ﷺ- فلا تضع أحاديثه عليه الصلاة والسلام في أماكن غير لائقة، لأن هذا نوع من الامتهان.

✉ ومن ذلك: أن لا ترفع صوتك عند قبره، وقد سمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلين قدما من الطائف فجعلا يرفعان أصواتهما في مسجد النبي -ﷺ- فقال: (لَوْلاَ أَنَّكُمَا مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ لأَوْجَعْتُكُمَا ضَرْبَاً)، لأن الله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) [الحجرات:2].

✉ولماَ نزلت هذه الآية كان رجل من الصحابة يقال له: ثابت بن قيس رضي الله عنه ممن يخطب بين يدي النبي -ﷺ- ، وكان جهوري الصوت، فلما نزلت هذه الآية بقي في بيته يبكي ليلاً ونهاراً رضي الله عنه هؤلاء الذين يعلمون قدر القرآن الكريم، ففقده النبي -ﷺ- لأن من عادة الرسول -ﷺ- أن يتفقّد أصحابه، وهذا من حسن رعايته -ﷺ- فسأل عنه فقالوا: يا رسول الله إن الرجل منذ أنزل الله تعالى هذه الآية وهو في بيته يبكي ليلاً ونهاراً، فقال -ﷺ-: اِذْهَبْ فَادْعُهُ لِي فأتى النبي -ﷺ- فقال له: مَا يُبْكِيْكَ يَا ثَابِتُ فقال: أنا صيّت وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ، لأن الله تعالى يقول: (أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ) فقال له الرسول -ﷺ-: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَعِيْشَ حَمِيدَاً، وَتُقْتَلَ شَهِيْدَاً، وَتَدْخُلَ الجَنَّة ،الله أكبر، كل من خاف من الله أمن، فهو بقي في بيته خائفاً من الله عزّ وجل ولكن أمَّنه الله ، ولهذا يجب علينا وجوباً أن نشهد أن ثابت بن قيس رضي الله عنه من أهل الجنة، لأن النبي -ﷺ- أخبر بهذا، فبقي الرجل حميداً في حياته وشارك المسلمين في قتال مسيلمة الكذاب، وغزوة مسيلمة الكذاب معروفة ومشهورة في التاريخ، وقتل رضي الله عنه شهيداً، ويدخل الجنة، اللهم اجعلنا من أهل الجنة يا رب العالمين.

☜وقع في قصته رضي الله عنه أيضاً مسألة غريبة: مر به أحد الجنود وهو ميت وعلى ثابت رضي الله عنه درع جيد، فأخذ الجندي الدرع منه ثم ذهب به إلى رحله وجعل عليه برمة – والبرمة قدر من الخزف – وفي الليل رأى أحد أصحاب ثابت ثابتاً رضي الله عنه في المنام وأخبره الخبر وقال له: مر بي رجل من الجند وأخذ درعي ووضعه تحت برمة في طرف العسكر وحوله فرس تستن، أي رافعة إحدى قوائمها، فلما أصبح الرجل الذي رأى هذه الرؤيا أخبر بها القائد خالد بن الوليد رضي الله عنه فأرسله إلى المكان، ولما أرسله إلى المكان وجد الأمر كما قال ثابت – فسبحان الله العظيم – ما الذي أعلم ثابتاً وهو ميت، لكن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، فأخذ الدرع.

المرجع : شرح الأربعين النووية لابن عثيمين رحمه الله بتصرف